الفصل الأول:
زهرات ... من الشمائل المحمدية

obeikandl.com

obeikandl.com

الموقف الأول

(١)

مولد رسول الإنسانية

obeikandl.com

obeikandl.com

الموقف الأول:
مولد رسول الإنسانية

وهل يستطيع محاول أن يوفي هذه الذكرى الكريمة حقها، وأن يؤدى لصاحبها واجبه، وهو ذلك النبي الأمي الذي أنقذ العالم كله من الشقوة والضلال، وأقال عثرة الكائنات مما تتعثر فيه من أوحال.

ذلك النبي الأمي الذي أرسله الله رحمة للعالمين، فتح به أعينا عميا، وقلوبا غلفا، وآذانا صماء، ذلك النبي الأمي الذي بعث، والناس فوضى جاهلون، لا يعلمون إلا ظاهرا من الحياة الدنيا، وهم عن الآخرة هم غافلون. فجاءهم رسول منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين. يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، فالذين آمنوا به وعزوره ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون. بأبي وأمي ونفسي وأهلي يا سيدي يا رسول الله. لقد طوقت أعناق العالمين. بما أنقذتهم من الضلال المبين. كان العرب وهم أحق الناس باتباع ملة إبراهيم في شر دين وأسوأ تفكير. يعبدون من دون الله ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنهم شيئا، وإذا قيل لهم: تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول، قالوا: حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا، أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون. أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير. وجعلوا له من عباده جزءا إن الإنسان لكفور مبين. وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا، وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم.

يالضلال الرأي، وسوأة التفكير، وانقلاب الوضع تقاليد مورثة.

وعادات مأنوسة يجعلون لله ما يكرهونه، وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون.

أما فوضى المجتمع. أما تفكك الروابط. أما فقدان التواصل والتعاون. أما قطع الرحم وما أمر الله به أن يوصل. أما سفك الدماء وإغارة الأقوياء على الضعفاء بالطعن والضرب، للنهب والسلب، أما القسوة الوحشية والكبر والبغي والعنجهية. فحدث عن الإجرام والهرج، وحدث عن الظلمات والمظالم ولا حرج، وندع للكتاب الكريم الوصف الشامل والإيجاز الكامل إذ يقول الله سبحانه ممتنا بمحمد وقد أنقذهم به: {وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾} [آل عمران: ١٠٣]، {هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾} [الجمعة: ٢ - ٤].

أي وربى ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ويا محمد إن لك لأجرا غير ممنون، وإنك لعلى خلق عظيم، لقد سطعت على الوجود شمسك وتمشى في الكون إشراقك، فتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد.

لقد بهرت فلا تخفى على أحد، ونهضت بأمم لا يعرفون إلا تلك الحماقات والجهالات، فرفعتهم إلى السماء وجعلت منهم أمما كادوا يزلزلون الأرض بالحق، ويجاهدون الباطل في الأرض، ويجاهدون الضلال بالعدل، وصف الله صفاتهم فأوجز: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم } [آل عمران: ١١٠]؛ بالله العلي الحكيم، ما

الذي قلب ذلك الوحش الكاسر والأسد الفاتك، والجمل الصائل والنمر الخالب، والكلب العقور، والسبع الجسور، فجعله الإنسان الفاضل - بل الملاك الطاهر -، والمصلح العالم يمشي على الأرض هونا وإذا خاطبه الجاهلون قال سلاما، وبعث تعاليم السماء، يبين البيضاء والحمراء، ما الذي جعل هذه العصابة التي كانت تخوف وتخوف، وتهدد وتهدد، وتصول في الظلماء، وتلغ في الدماء، علماء حلماء خاشعين قانتين، سادة بها ليلهم كأنبياء بني إسرائيل، صابرين صادقين قانتين منفقين مستغفرين بالأسحار وحماة للفضيلة، حراسا لثغور الإسلام والسلام: {كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ} [الفتح: ٢٩]، قد عرفوا الله وعزفوا عن كل ما سواه، فكانوا مراهم لكل جراح الإنسانية وحمائم الأمن وحماة الحرية.

أولئك، تلامذة المدرسة المحمدية، وأولئك غرس محمد، فمن محمد؟

اللهم عطر ذكره، وجدد عهده وارحم أمته، لقد تداعت عليها الأمم، لما انصرفت عن هديه وهداه، فردها إلى الحق وأدركها بروح منك، رب العالمين [1].

* * *

(١) من ماضي الإسلام وحاضره.

obeikandl.com

الموقف الثاني

(٢)

هذا هو النبي

obeikandl.com

obeikandl.com

الموقف الثاني:
هذا هو النبي

دعوة إبراهيم:

سئل رسول الله ﷺ فقال:

«أنا دعوة إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام» رواه أحمد.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع» رواه مسلم.

عن عبد المطلب بن أبي وداعة قال: قال رسول الله ﷺ: «من أنا؟» قالوا: أنت رسول الله ﷺ. قال: «أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه، وجعلهم فرقتين فجعلني في خير فرقة، وجعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة، وجعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا، فأنا خيركم بيتا وخيركم نفسا». رواه الترمذي وابن كثير.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة». رواه ابن سعد في الطبقات

* المصطفي ﷺ :

عن ابن عمار شداد أنه سمع واثلة بن الأسقع يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم» رواه مسلم.

وعن واثلة بن الأسقع أن النبي ﷺ قال:

«إن الله عز وجل اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من بني

إسماعيل كنانة، واصطفى من بنى كنانة قريشا، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفاني من بنى هاشم» رواه مسلم.

* نسب المصطفى ﷺ :

خطب رسول الله ﷺ فقال: «أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن فهر[1] ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان».

«ما افترق الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرهما فأخرجني من خير أبوين، فلم يصبني شيء من عهد الجاهلية، وخرجت من نكاح، ولم أخرج من سفاح من لدن آدم، حتى انتهيت من أبى وأمي، فأنا خيركم نفسا، وخيركم أبا» رواه البيهقي وابن عساكر، والبداية والنهاية لابن كثير[2].

{لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾} [التوبة: ١٢٨].

{لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾} [الأحزاب: ٢١].

{مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾} [الأحزاب: ٤٠].

* * *

(١) فهر هو قريش، ولا قريش إلا من فهر.
(٢) من مقال للأستاذ/ طه محمد كسبه.

الموقف الثالث

(٣)

الميلاد المحمدي وتصحيح مسار الإنسانية

obeikandl.com

obeikandl.com

الموقف الثالث
الميلاد المحمدي وتصحيح مسار الإنسانية

يمر بنا التاريخ لنتذكر يوم ميلاد نبي البشرية محمد ﷺ، إن المقصود بذكرى هذا اليوم ذكرى إسداء التوجيه، والنصح، والدلالة على الخير في حياة المسلم كما قال تعالى: {لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾} [الأحزاب: ٢١].

إنه يوم ميلاد خاتم النبيين، فحين قيل له: يا رسول الله أخبرنا عن نفسك قال: «**إني عبد الله وخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأخبركم عن ذلك دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى لي، ورؤيا أمي التي رأت**»[1].

لقد بدا النور المحمدي حين حملته أمه آمنة، ووضعته، ورأت هذا النور يخرج منها، وينتشر حتى يضيء قصور بصري بالشام. إن يوم ميلاده ﷺ كان يوما مشهودا دلت الإرهاصات على عظم مولده، وحقيقة أمره، يوم ميلاده ﷺ هزم الله تعالى أصحاب الفيل، وردهم مدحورين ودافع عن البيت الحرام، كان دفاع الله تعالى أقوى من الجيوش الجرارة حين قدمت الطيور تحمل القنابل الفتاكة بالداء العضال فكان حدثا له من بعد نصرة الحق، واستقامة الحياة: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾} [الفيل: ١ - ٥]. أي كورق الزرع إذا أكلته الدواب أو كالتبن.

(١) النبي الخاتم، د/ عبد الغفار هلال.

وقد قلت في ذلك:

فأبرهة الطاغوت إذا جاء جمعه ::: وأفياله قد آزرتها الجحافل
يريدون إخفاء الشعاع لشعلة ::: أضاءت عنان البيت منها القنادل

حمى بيته الرب القدير محصنا ورد عداة الله عنه أبابل يوم ميلاده ﷺ تصدع إيوان كسرى هذا القصر المشيد الذي كان يعج بالعصيان، والمجون، ويقوم عليه أحد جبابرة الأرض من الطغاة وبينما هو ومن حوله في غامر اللهو إذ بشرفات القصر تتهاوى كلها، وهى كثيرة قيل إنها بلغت أربع عشرة شرفة، كما يذكر كتاب السيرة، وقد أرسل كسرى في الآفاق يبحث عن سبب هذا الانهيار ثم علم - بعد البعثة - أنه النور المحمدي، ومن على شاكلة ذلك كثير في كل عصر وحين.

لقد كان ميلاده ﷺ سقوطا للشرك، وعبادة غير الله؛ فحين مولده ﷺ خمدت نار كسرى، وكانت مؤججة أكثر من ألف عام لم تنطفئ، وحولها عبادها من المجوس، وكان هذا الخمود للنيران إيذانا ببدء المعرفة لإلهية الحقة بالعودة إلى التوحيد وشرع الله الذي يعد امتدادا للرسالات الإلهية كما قال تعالى: {شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ} [الشورى: ١٣].

وقلت في ذلك:

ونار تلظى يعبد الفرس جمرها ::: تشب لها من ألف عام مراجل
وبينا عبيد النار يجثون حولها ::: إلههم المأفون بئس العبادل
أتى يوم ميلاد النبي فأخمدت ::: له نار كسرى واستشاط العواهل
تصدع إيوان كسرى وقد هوت ::: به شرفات حطمتها الزلازل

لقد كانت لحظة الميلاد المحمدي لحظة إنقاذ للبشرية من متاهات

الشرود والضلال. وتوجيهها إلى الصراط المستقيم. وكان مقدمه ﷺ قضاء على الجهل، والتخلف. وإقامة لبناء الإنسان بناء حضاريا سليما في هذا العالم على أساس من الفكر الحر. والدعوة بالحسنى والحوار والتفاهم، لا بالسيف والاغتيال:{لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ} [البقرة: ٢٥٦]، وما أحوج العالم بأسره إلى هذه المبادئ.

وقد رسم طريق التواصل، والتراحم بين الناس فهو القائل ﷺ: «إنما أنا رحمة مهداة».

وقلت في ذلك [1]:

وهذا رسول الله طفلا ومولدا ::: أزاح ستار الجهل كيف التجاهل
أقام بناء للحياة قوامه ::: تحاور فكر لا سيوف غوائل
وقرب بين الناس كي يتعارفوا ::: على وحدة يزداد فيها التواصل

* * *

(١) النبي الخاتم، د/ عبد الغفار هلال.

obeikandl.com

obeikandl.com

الموقف الرابع

(٤)

نسمات من أخلاقه

obeikandl.com

obeikandl.com

الموقف الرابع
نسمات من أخلاقه

إن الله تعالى يمكن في الأرض الذين يتخذون التقوى والصلاح والخير طريقا للحياة وسلوكا. لهؤلاء الذين يلتزمون بمبادئ الأخلاق التي تقوم على مراعاة العدل والبر والخير وحسن السياسة في الأمور كما قال تعالى: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾} [الأنبياء: ١٠٥].

وكما قال سبحانه: { الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾} [الحج: ٤١].

وكما قال عز حكمه: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا} [النور: ٥٥].

أما الذين يبتغون فساد الأخلاق ويتخذون الشر طريقا لهم فيعتريهم الانقسام والذلة والخذلان وذلك يكون بفاسد العادات والتقاليد، وقد قال ابن مسعود: (خط رسول الله ﷺ خطا بيده ثم قال: «هذا سبيل الله مستقيما»، وخط عن يمينه وشماله ثم قال: «هذه السبل ليس منها سبيل إلا وعليه شيطان يدعو إليه»، ثم قرأ قول الحق سبحانه وتعالى: {وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾} [الأنعام: ١٥٣].

ولذلك كان التمسك بشريعة الإسلام هو الخلق الأمثل الذي يقوم على إحسان السلوك وخير الطرق للهداية والعمل المثمر وأن يكون مرجع الأمور كلها إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا

{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا } [النساء: ٥٩].

فكل خلق قويم نافع مرجعه إلى القرآن الكريم وما كان يقوم به الرسول ﷺ من عمل وتوجيه وتنفيذ الأوامر والنواهي والأحكام التي جاء بها القرآن الكريم، وكان النبي ﷺ يقرب المثل في ذلك سواء كان ذلك فيما يلقيه من أقوال أو ما يقوم به من أفعال أو ما يقرره من أمور، وذلك مضمون ما يمكن تسميته بأخلاق الإسلام وهى تتمثل في القيام بتنفيذ ما أحل الله، والبعد عما حرم الله، وأداء شعائر الدين فيما شرعه الله من العبادات، وتنظيم الحياة الاجتماعية في جميع مظاهرها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية على أساس ما جاء في القرآن وشرحته السنة النبوية المطهرة التي تمثل خلق رسول الله ﷺ في الالتزام والطاعة لكل ما جاء عن الله عز وجل وشرحه وفصله القرآن أو أجمله وجاءت السنة مبينة له وشارحة له، وهذا يشمل عمل كل ما يؤدى إلى الخير وترك الفواحش ما ظهر منها وما بطن وأن يكون الإنسان مستقيما كما أمره الله: {وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ} [الشورى: ١٥]. والقرآن الكريم إلى جانب ذلك يدعو إلى كل أنواع السلوك الحسن في معاملات الناس من الصدق والعفو والتواضع ومعالجة الأمور بحكمة وروية.

ونهى القرآن الكريم عن كل مايخل بالمروءة والشرف كالكذب والنفاق والغش والحسد والرياء، والعدوان على النفس والمال وتعاطى الخبائث وحذر من كل القبائح التي تضر بالمجتمع والناس كالخيانة والظلم والزور.

وأمر بأوامر الوفاء بالعقود والعهود وحسن استثمار المال والعلم وتقديم الخير للآخرين.

كما أمر بحفظ الأمن والنظام وطاعة أولى الأمر والتقاء الأمة حول ما يصلح كل أحوالها.

كما أمر بالاهتمام بالسلام وترك الفساد في الأرض، قال تعالى: {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [البقرة: ١٨٧].

وقال ﷺ: «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودا فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها» (١).

لقد قال القرآن الكريم عن الرسول ﷺ: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران: ١٥٩].

وقال سبحانه وتعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾} [التوبة: ١٢٨].

قال القاضي عياض: إن فضله ﷺ أن الله أعطاه اسمين من أسمائه الحسنى فقال: {بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [التوبة: ١٢٨]، ولم يعامل قومه في الدعوة إلى الله معاملة جافية.

سألت السيدة عائشة النبي ﷺ قالت: يا رسول الله: هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد؟

قال ﷺ: «لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة.. إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أفق إلا وأنا بقرن الثعالب - قرن المنازل الآن - فرفعت رأسي، فإذا سحابة قد أظلتني فنظرت، فإذا جبريل -

(١) قال النووي: هذا حديث حسن.

عليه السلام - فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا به عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال. وسلم عليَّ ثم قال: يا محمد، إن الله تعالى قد سمع قول قومك، وأنا ملك الجبال قد بعثني إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت؟ إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين - تسمية لجبلين في مكة» فقال ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئا» (١).

وعن أنس قال: (كان النبي ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق الناس قبل الصوت، فاستقبلهم رسول الله ﷺ قد سبق الناس إلى الصوت وهو يقول: «لن تراعوا، لن تراعوا» وهو على فرس لأبي طلحة (سهل بن زيد الأنصاري زوج أم أنس) عُرْى ما عليه سرْج، في عنقه سيف، فقال: «لقد وجدته بحرا أو إنه لبحر» (أي واسع الجري مثل البحر).

وقال أبو ذر لما بلغه مبعث النبي لأخيه: اركب إلى هذا الوادي فاسمع من قوله، فرجع فقال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق.

وقال ابن عباس - رضى الله عنهما - كان النبي ﷺ أجود الناس وأجود ما يكون في رمضان.

وعن عبد الله بن عمرو قال: لم يكن رسول الله فاحشا ولا متفحشا، وإنه كان يقول: «إن خياركم أحاسنكم أخلاقا».

وعن أنس ﷺ قال: خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي: أفٍّ، ولا لِمَ صنعت؟ ولا ألا صنعت؟ (بمعنى هلا صنعت؟).

وفي رواية: ما قال لشيء صنعته هذا كذا؟ ولا لشيء لم أصنعه: لم تصنع هذا كذا؟

(١) رواه الشيخان.

وعن الأسود بن يزيد قال: سألت عائشة: ما كان النبي يصنع في أهله؟ قالت: كان في مهنة أهله - بكسر الميم وفتحها - فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما - أن هذه الآية التي في القرآن: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾} [الأحزاب: ٤٥]، قال: في التوراة: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾} [الأحزاب: ٤٥]، «حرزا للأميين، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله فيفتح بها أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا» (١).

وكل ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير فهو السنة.

وكل ما كان مقصودا به التشريع والاقتداء به ﷺ مما ثبتت صحته هو مصدر للتشريع فكل شيء يحتاج إليه المسلمون في أمر دينهم ودنياهم مما يصلح حياتهم شرع لهم.

وطاعة الرسول من طاعة الله، قال تعالى: {قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾} [آل عمران: ٣٢]، {مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا} [النساء: ٨٠]، {وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ} [الحشر: ٧].

وسنته ﷺ بيان للقرآن: {بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ} [النحل: ٤٤].

ولما بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل ﷺ إلى اليمن قال له: «بم تُقضى إذا عرض لك قضاء؟» فقال: بكتاب الله، قال: «فإن لم تجد؟» قال: بسنة

(١) رواه البخاري.

رسول الله، قال: «فإن لم تجد؟» قال: أجتهد رأيي و لا آلو، فقال ﷺ: «الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله إلى ما يرضي الله ورسوله».

والسنة تأتي مقررة ومؤكدة لما جاء في القرآن الكريم كالأمر بالصلاة والزكاة وسائر العبادات.

والسنة تأتى مفسرة ومفصلة لما أتى مجملا في القرآن أو واضعة بعض القيود والشروط كما جاءت السنة مبينة لأوقات الصلاة وكيفيتها وعدد ركعاتها وما يقرأ فيها... إلخ.

والسنة تأتى بأحكام جديدة فيما لم يذكره القرآن مثل التحريم من الرضاع: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب» وكذلك حديث الواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة إلخ... وهذا أشار إليه الإمام الشافعى في رسالته - في الأصول - [1].

فأين نحن من هذه الأخلاق الآن؟!

* * *

(١) أيام من حياة محمد.

الموقف الخامس

(٥)

الصبر على الإيذاء والاضطهاد وألوانه

obeikandl.com

obeikandl.com

الموقف الخامس:
الصبر على الإيذاء والاضطهاد وألوانه

خلال هذه الحقبة من تاريخ الدعوة، وقعت حوادث جسام، ومع ذلك استمر الرسول ﷺ يدعو جهارا غير هياب، وكان القرآن ينزل عليه إرسالا فيقرئه أصحابه، وكان يدعو إلى ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وكان المكيون يقابلون دعوته بالسفه والإنكار البالغ، ولما وجدت قريش أن الدعوة تزداد انتشارا على مر الأيام، وأن أساليب السخرية والتحقير لم تؤد إلى نتيجة، فبدأت حملة شرسة من الإيذاء والاعتداء على رسول الله ﷺ وعلى أصحابه رضوان الله عليهم [1].

١- إيذاء النبي ﷺ:

لقد وقفت قريش من النبي ﷺ موقفا معاديا كان يزداد حدة وشراسة مع مرور الأيام، وحاولت بشتى الوسائل وكافة السبل، أن تصده عن دعوته، وأن توقف انتشارها، فلجأت في بادئ الأمر إلى أسلوب التبكيت والاستهزاء والتكذيب والتحقير والتضحيك والاتهامات والافتراءات الباطلة، بقصد تخذيله وتوهين قواه، فرموه بتهم هازلة وشتائم سفيهة، فمرة يصفونه بالجنون، قال تعالى: {وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾} [الحجر: ٦].

وقال عز شأنه أيضا: {وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾} [القلم: ٥١].

وهذا مع أنه سيد ولد آدم، وقد رد الله عليهم فقال سبحانه: {نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾} [القلم: ١ - ٢].

* * *

(١) محاضرات في السيرة النبوية.

صور الإيذاء ووسائله

في حياته ﷺ قد وجد أنواعا شتى من الإيذاء والإهانة والشتم والسب منها [1] :

الإيذاء البدني: ففي العهد المكي كان النبي ﷺ قد وجد من قومه إيذاء بدنيا الأمر الذي جعله في مصاف أولى العزم من الرسل.

- فقد خنقه أحد المشركين بردائه وهو يصلى حتى جاء أبو بكر فدفع الرجل وقال: (أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله).
- وقد وضع أحدهم على ظهره سلا جزور (أمعاء ذبيحة) فما تحرك في سجوده حتى أتت ابنته فاطمة فطرحت عنه القاذورات.
- ويوضع عليه التراب وهو يصلي في الكعبة. وجاءت فاطمة فأزالت التراب وهى تبكى. والرسول يقول: **«لا تبكى يا فاطمة فإن الله مانعٌ أباك»**.
- ويذهب إلى الطائف علّه يجد متنفسا لدعوته لكنه يجد خلاف ما توقع. فأغرى أهل الطائف سفهاءهم وأطفالهم فآذوه حتى أدميت قدمه الشريفة.
- ويحاولون قتله عن طريق رصد بعض شباب مكة الذين ترصدوا له حول داره ليضربوه ضربة رجل واحد لكن الله نجاه.

أما في العهد المدني فإن لليهود والمنافقين باعا طويلا حيث تعود اليهود على إيذاء الأنبياء والاستهزاء بهم، ولم يسلم من آذاهم حتى موسى عليه السلام. الذي أنقذهم الله على يديه. حيث أطلق اليهود بأنه الأدرة (انتفاخ الخصية).

ولهذا حذر الله أمة محمد أن تفعل مع نبيها ما فعله اليهود مع

(١) الرسول الأعظم ﷺ.

موسى فقال: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ٦٩} [الأحزاب: ٦٩].

ورسول الله محمد ﷺ ليس بدعا من الرسل في هذا الشأن، لهذا أطلق اليهود والمنافقون عليه الشائعات التي تمس شخصه الكريم مثل قولهم: {هُوَ أُذُنٞ} [التوبة: ٦١]، وقولهم: {رَٰعِنَا} [البقرة: ١٠٤]، من الرعونة فيرد الله عليهم ذلك.

ومنها الإشاعات التي تمس شرفه مثل ما أشاعوه في حادثة الإفك فبرأ الله عائشة من فوق سبع سماوات.

ومنها بعض التشريعات التي تمس أحكامه وتشريعاته مثل لمزهم رسول الله في أمر الصدقة كما قال: {وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ} [التوبة: ٥٨].

وممن سب رسول الله وآذاه ابن الزبعرى. فقد كان شديد العداوة لرسول الله ﷺ بلسانه فإنه كان من أشعر الناس وكان يهاجي شعراء الإسلام مثل حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وقد أمر النبي بقتله يوم الفتح.

ومن هؤلاء أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب. فإن قصته في هجائه النبي ﷺ وفي إعراض النبي عنه لما جاء مسلما مشهورة ومستفيضة. حيث يذكر أن أبا سفيان بن الحارث، وعبد الله بن أبى أمية التمسا الدخول على رسول الله فكلمته أم سلمة فيهما فقالت: يا رسول الله ابن عمك، وابن عمتك وصهرك، فقال: «**لا حاجة لى بهما. أما ابن عمى فهتك عرضي، وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال لى بمكة ما قال**». فلما خرج إليهما الخبر ومع أبى سفيان بن الحارث ابن له فقال: والله ليأذنن لي رسول الله أو لآخذن بيد ابن هذا، ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشا أو جوعا، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رق

لهما فدخلا عليه، فأنشده أبو سفيان قوله في إسلامه واعتذاره مما كان مضى منه.

ولما مزق كسرى كتاب رسول الله ﷺ واستهزأ به قتله الله بعد قليل، وفرق ملكه كل ممزق، وهذا - والله أعلم - تحقيق قوله تعالى: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾} [الكوثر: ٣].

* والإيذاء البدني لرسول الله قد انقطع بانقطاع حياته ﷺ على الأرض. ولكن الإيذاء المعنوي من تكذيب وتشويه لصورته هو السلاح الباقي مع الأعداء إلى يومنا هذا.

فالهدف والغاية واحد منذ عصر النبوة وحتى يومنا هذا، وهو محاولة تشويه صورته والنيل من قدره وصرف الناس عن دينه وشريعته، واحتقار أتباعه والمؤمنين به، وإن اختلفت الأساليب والوسائل والصور، فلئن كان الشعر وسيلة لهجائه فإن الرواية الأدبية حلت محلها من قبل أعدائه.

ولئن كان الغناء وسيلة للاستهزاء به فقد صارت الصحف والمجلات طريقة أخرى.

وإطلاق الشائعات على شخص النبي والسخرية منه دخلت مجال الإعلام الحديث أيضا.

ومما يؤسف له أن التكنولوجيا الحديثة والتقنيات العالمية، والتقدم العلمي بدل أن يستخدمها الإنسان وسيلة للحوار والتفاهم مع الآخر للوصول إلى قدر من المعايشة السلمية صار الآن في الغالب الأعم وسيلة لزرع الكراهية والبغضاء بين الأمم والشعوب.

فمن يتابع وسائل الإعلام وخاصة الإنترنت يجد ما يهوله من عداء سافل وسافر تجاه الرسول محمد ﷺ.

* وكعب بن الأشرف كان عربيا من بنى طيئ، وكانت أمه من بنى النضير، وكان قد وادع النبي ﷺ مع من وادعه من يهود المدينة. ولكن حين انتصر الرسول ﷺ في بدر حزن حزنا شديدا، وانطلق إلى مكة وراح ينظم المراثي في قتلى قريش، ويحرض قريشا على الأخذ بالثأر، وأعلن في مكة أن دين المشركين أهدى من دين المسلمين.

ثم عاد إلى المدينة وأخذ ينظم الشعر في هجاء الرسول ويشهر بنساء المسلمين حتى ضاق به النبي ذرعا فقال: «**من لى بكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله**». فتصدى له محمد بن مسلمة، وخرج في نفر من الصحابة وقتلوا كعب بن الأشرف.

* وابن خطل الذي ارتد بعد إسلامه وكانت عنده جاريتان تغنيان الشعر الذي كان ينظمه هجاء في الرسول، وتحولت دار ابن خطل إلى ملهى يجتمع فيه الكفار ليستمعوا إلى غناء الجاريتين.

فلما فتح الله على رسوله ودخل مكة لاذ ابن خطل والجاريتان بالبيت الحرام، وكان قد صدر أمر من النبي ﷺ أن اقتلوا ابن خطل ولو كان متعلقا بأستار الكعبة، لأن ابن خطل كان يرضى المشركين في مكة بسب رسول الله ﷺ، وكان هجومه بالغ الخسة والدناءة، بل هوى إلى الدرك الأسفل من الوقاحة والصغار، ولكن لابد من صدور أمر بإعدامه لأنه قد تعدى حتى شرف المخاصمة.

وممن هزأ وسخر بالرسول وغاظه انتصار الرسول في بدر، رجل يسمى (أبو عفك)، وكان قد بلغ عمره مائة وعشرين، وكان يحرض الناس على عدم الدخول في الإسلام، ثم أفرغ غيظه وحقده في قصيدة طويلة هجا فيها النبي ﷺ هجاء مقذعا، وكانت نهايته مثل كعب بن الأشرف.

مما تقدم نعلم أن رسول الله ﷺ قد واجه في حياته كثيرا من

المصاعب ومنها الشتائم والسباب والاستهزاء، وما كان رسول الله ﷺ يدافع عن نفسه قط، وذلك لأن مهمته أكبر من أن يقف عند شتم شأنه في ذلك شأن سائر الرسل والأنبياء، ولهذا قال الله له: {مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾} [فصلت: ٤٣].

وقد تولى الحق سبحانه الدفاع عن رسوله، ثم بعد ذلك كان دور الصحابة الكرام.

فكم رأينا عمر بن الخطاب يحاول النيل ممن استهزأ برسول الله ﷺ أو حاول إيذاءه، وخالد بن الوليد كم مرة يجرد سيفه لمجرد أن أعرابيا قال له: (اعدل يا محمد، فوالله ما أراك عدلت).

والأعمى الذي قتل أم ولده لأنها وقعت في رسول الله ﷺ وشتمته فنهاها الرجل أكثر من مرة فلم ترجع فقتلها بمعول كان بيده.

نخلص من ذلك: أن كل من شنأه وأبغضه وعاداه فإن الله يقطع دابره ويمحق عينه وأثره.

وإذا كان (لحوم العلماء مسمومة) فكيف بلحوم الأنبياء وعلى رأسهم أشرف الخلق محمد ﷺ.

وإذا كان الحق سبحانه وتعالى يقول في حديثه القدسي: «من عاد لي وليا فقد آذنته بالحرب».

فكيف بمن عادى نبيا، ثم كيف بمن عادى سيد الأنبياء وأستاذ الأولياء والأتقياء.

* * *

ضريبة المهام العظام

وكان من وسائل الدفاع والحفظ الذي تكفل المولى به لرسوله ﷺ أن ذكره بأنه ليس بدعا من الأنبياء والرسل وأنهم لاقوا كثيرا من العنت والتكذيب فصبروا على ذلك وعليك أيها النبي وأنت إمامهم في الرسالة أن تكون كذلك في الصبر والتحمل قال تعالى:{وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾} [الأنعام: ٣٤ - ٣٥].

وقال مبينا عاقبة الذين استهزؤوا برسل الله وأن الله كان لهم بالمرصاد:{وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾} [الأنعام: ١٠].

وأن من سنن الله مع أنبيائه أنه سبحانه وتعالى أنه يملى لهم ولا يهملهم ويستدرجهم من حيث لا يعلمون، وسنته باقية إلى يوم القيامة، ولا مبدل لكلمات الله في ذلك كما قال تعالى:{ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾} [الرعد: ٣٢].

فما من أمة أرسل الله إليها رسول إلا استهزؤوا به، وسخروا منه.

إن عمل كل ما من شأنه وقف هذه المساخر إنما هو واجب ديني ووطني وأخلاقي. بدءا بإنكار المنكر قلبا وقولا وعملا لكن كل ذلك شريطة أن تكون هذه الأعمال وفقا المنهج النبوي كما لو كان رسول الله ﷺ موجودا بيننا الآن.

فإن أعلن استنكاري فهذا مشروع، أن أكره من يحاول الإساءة لرسول الله فهذا واجب، أن أقاطع المستهزئ برسول الله فهذا واجب،

أن أقاطعه سياسيا فهذا مشروع، لكن أن أحرق السيارات، وأن أدمر البنايات، وأن أزهق الأرواح فهذا ما لا يرضى عنه رسول الله ﷺ.

على الحكومات وولاة الأمور في دول الإسلام أن يقفوا صفا واحدا لوقف هذه الهجمات المنظمة بعدما تبين أن الأمر لم يقف عند صحيفة بل إن الأمر قد بات وكأنه قد خطط له وأن النخبة الحاكمة إذا لم تتحرك لوقف هذه البذاءات ضد رسولهم، فإن البون سيتسع بينهم وبين شعوبهم التي أظهرت الأحداث أن رسول الله أغلى عندهم من أنفسهم التي بين جنوبهم.

على النخبة المثقفة في العالم الإسلامي والمفكرين والعلماء واجب ديني إزاء السيد العظيم محمد ﷺ، وذلك بتذكير الغرب أن الحوار الحضاري الذي يدعى الغرب مواصلته مع الشرق الإسلامي أكذوبة طالما لم يتعد حدود الكلام النظري. وطالما أن أصحاب القرار في الغرب يسيرون نحو أسلمة الإرهاب ثم الصدام المسلح باحتلال الدول الإسلامية بلدا بعد الآخر.

يجب أن يكون جهدنا ضعيفا ونفسنا قصيرًا في التعامل مع هذه القضية بالذات فقد عرف عن المسلمين أنهم ينفعلون مع الحدث أولا، ثم تخبو الجذوة وينعدم الحماس ولا يخرجون بنتيجة اللهم إلا سخرية الآخرين حتى قالوا عنهم: إن العرب والمسلمين ظاهرة صوتية.

ومن هنا وجب على المسلمين ألا تهدأ المظاهرات السلمية، والاحتجاجات المنظمة، والمقاطعات الاقتصادية والسياسية حتى يكف هؤلاء الغربيون عن سفالاتهم، وحتى نأخذ حقنا ونسترد كرامتنا، ونستعيد هيبتنا، ويعلم الغرب أن محمدا ﷺ قد خلف رجالا يفدونه بأموالهم وأنفسهم.

إن رجال المال والإعلام في الدول الإسلامية يجب أن يكونوا

على مستوى المسؤولية الملقاة على عاتقهم، وذلك بأن يقوموا بدور دعوى لايقل خطورة عن دور الأئمة والدعاة، وذلك بإنشاء قنوات متخصصة بكل اللغات الغربية تقوم بدور لا أقول الدفاع عن الإسلام ونبيه ﷺ لأن النبي لا يحتاج دفاعًا من أحد إذ أنه لم يكن يوما في قفص اتهام - وحاشاه - ولكن تكون مهمة هذه القنوات إبراز الصورة الحقيقية لرسول الله ﷺ.

وهذه القنوات سوف تصحح كثيرا من هذه الأغاليط عن الإسلام ونبيه ﷺ خاصة أمام عامة الشعوب الغربية التي كانت وما زالت تأخذ معلوماتها عن الإسلام وأهله ونبيه من وسائل الإعلام الغربية التي تسيطر عليها الجماعات الصهيونية والتي نعرف جميعا مدى عداوتها للإسلام والمسلمين.

لا ننكر حقيقة هامة وهى أن بعضنا من المسلمين قد ساعدوا على تشويه صورة الرسول الأعظم من الغربيين أنفسهم بجهلهم تارة وسوء سلوكهم تارة أخرى.

بل إن مما يؤسف له أن عددا ممن يحسبون على الدعوة قد أعطوا الغرب فرصة ما كانوا يحلمون بها. مثل جمود الفكر، وعدم الوعي بمقاصد الشريعة، والانغلاق التام، والانفصال عن الواقع. وقد أحسن الغرب وخاصة الجماعات الصهيونية المنظمة استغلال هذه النماذج لمساعدتهم في مهمتهم في تشويه الإسلام ونبيه.

على الحكومات الإسلامية في المحافل الدولية أن حرية التعبير في الغرب عرجاء شوهاء. ذلك أن كثيرا من دول الغرب لا يجرؤ أحد أن يمس أي قضية تتصل باليهود وإلا دخل تحت طائلة القوانين المتعلقة بمعاداة السامية والتي تؤدى بصاحبها إلى الاعتقال والحبس مهما كانت الحجج والبراهين التي يستند إليها.

فعلى الحكومات الإسلامية أن تصرخ بأننا ساميون أيضا، ويجب أن تحترم مقدساتنا وقضايانا أيضا وإلا!!!

علينا نحن المسلمين أن نرتب البيت الإسلامي من الداخل، وأن نحاول قدر إمكاننا الاكتفاء الذاتي، ولا نمد أيدينا إلى الغير. لأن من لا يملك قوته لا يملك قراره. وأظن أنه عار علينا أن يكون لدينا هذا الرصيد الهائل من البشر، والموارد، والأرض، وفوق ذلك القيم ثم بعد ذلك نذهب فنتسول من الغرب ونطلب منهم أن يحترموا مقدساتنا!!!

لابد من مواقف عملية تؤكد صدق الاعتذار. ولا يكون الاعتذار مجرد كلمة جوفاء أملتها عليهم الظروف العالمية. والمقاطعة الاقتصادية، والوقفات السياسية بل لابد من خطوات عملية حتى لا يتكرر المشهد ونعود إلى ما كنا عليه وهكذا بل لابد من:

١- النظر في مناهج التعليم الغربية التي تقوم بدور التشويه المتعمد للإسلام والمسلمين ونبيهم.

٢- إعادة النظر في القوانين سيئة السمعة التي سنها الغرب ضد المسلمين والتي تحاول الربط بين الإرهاب والإسلام، والتي تصل لدرجة أسلمة الإرهاب أو أرهبة الإسلام.

٣- السماح بمساحة واسعة من الإعلام لإظهار وجه الإسلام الحقيقي والتي يقوم علماء الإسلام بشرحها وبيانها.

٤- عدم تهميش دور المسلمين في المجتمعات الغربية، بل يجب أن يكون لهم دور في صناعة القرارات يتوازى مع دورهم في نهضة المجتمع الأوروبي.

فالعقول الإسلامية المهاجرة من العلماء والأطباء والمهندسين ورجال الأعمال كان ولازال لهم دور فاعل في الحياة الغربية لا

ينكره إلا مغرض أو جاهل.

٥- تطبيق المواثيق الدولية التي تنص على عدم المساس بالمقدسات الدينية، وخاصة المادة السابعة في ميثاق حقوق الإنسان.

٦- سن القوانين التي تضبط الحرية الفكرية وخاصة فيما يتعلق بالصحافة التي هي أوسع انتشارا، ووضع عقوبات رادعة لمن يحاول النيل من قدر المقدسات إسلامية أو مسيحية أو يهودية.

ومن المعلوم أن المسلم في كل مكان أول من يرفض بشدة أن تهان مقدسات الآخرين خاصة وأننا أولى بموسى وعيسى من الآخرين.

* * *

الفوائد والآثار الإيمانية على تعود المسلمين من ذلك:

١- هذا الباب تقرير وتأكيد لقول الله تعالى: {أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾} [العنكبوت: ٢].

ولقوله تعالى: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾} [البقرة: ٢١٤].

ولقوله تعالى: {لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾} [آل عمران: ١٨٦].

ومن فوائد هذا الإبتلاء تمحيص المؤمنين ومحق الكافرين: {لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الأنفال: ٤٢].

وحتى يتخذ الله أولياء وشهداء، نسأل الله تعالى شهادة في سبيله

مقبلين غير مدبرين.

قال ابن القيم - رحمه الله -: والمقصود أن الله سبحانه اقتضت حكمته أنه لابد أن يمتحن النفوس ويبتليها، فيظهر بالامتحان طيبها من خبيثها، ومن يصلح لموالاته وكرامته ومن لا يصلح، وليمحص النفوس التي تصلح له ويخلصها بكير الامتحان كالذهب الذي لا يخلص ولا يصفو من غشه بالامتحان، إذ النفس في الأصل جاهلة ظالمة، وقد حصل لها من الجهل والظلم من الخبث ما يحتاج خروجه إلى السبك والتصفية، فإن خرج في هذه الدار وإلا ففي كير جهنم، فإذا هذب العبد ونقى أُذن له في دخوله الجنة.

٢- قال الجزائري - رحمه الله - في النتائج والعبر: بيان صدق وعد الله تعالى لرسوله ﷺ في قوله تعالى:{إِنَّا كَفَيْنَاكَ لَتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾} [الحجر: ٩٥].

فقد كفاه إياهم بأن أهلكهم كلهم والرسول ﷺ يشاهد هلاكهم في فترة وجيزة وزمن قليل.

٣ - قال الدكتور / محمد البوطي: كان من الممكن ألا يأمر الله رسوله بإنذار عشيرته وذوى قرباه خاصة اكتفاء بعموم أمره الآخر وهو قوله:{فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ} [الحجر: ٩٤]، إذ يدخل أفراد عشيرته وذوو قرباه في عموم الذين سيصدع أمامهم بالدعوة والإنذار، فما الحكمة في خصوصية الأمر بإنذار العشيرة؟

فأدنى درجة في المسؤولية هي مسئولية الشخص عن نفسه، ومن أجل إعطاء هذه الدرجة حقها استمرت فترة ابتداء الوحي تلك المدة الطويلة التي رأيناها، أي ريثما يطمئن محمد ﷺ إلى أنه نبي مرسل، وأن ما ينزل عليه إنما هو وحي من الله عز وجل فيؤمن هو بنفسه أولا ويوطن ذاته لقبول كل ما سيتلقاه من مبادئ ونظم وأحكام.

أما الدرجة التي تليها، فهي مسؤولية المسلم عن أهله ومن يلوذون به من ذوى قرباه، وتوجيها إلى القيام بحق هذه المسؤولية خصص الله الأهل والأقارب بضرورة الإنذار والتبليغ بعد أن أمر بعموم التبليغ والجهر به.

وأما الدرجة الثالثة: فهي مسؤولية العالم عن حيه أو بلدته ومسؤولية الحاكم عن دولته وقومه وكل منهما ينوبان في ذلك مناب رسول الله ﷺ.

وقال الأستاذ منير الغضبان: فالشيء الطبيعي أن تكون الدعوة في المرحلة الأولى في صفوف الأقربين، وخاصة عندما تأخذ طابع المواجهة المعلنة، لأن هذه المواجهة تعرض الداعية للخطر فلا بد له من حماية، وعشيرة الداعية هم أكثر الناس استعدادا للحماية، فلقد كان أول الخلق إسلاما بعد رسول الله ﷺ زوجه خديجة رضى الله عنها، ومولاه زيد بن حارثة، وابن عمه على بن أبى طالب الذي كان مقيما عنده.

٤ - يقول الشيخ محمد الغزالي: إن محمدا ﷺ لم يجمع أصحابه على مغنم عاجل أو آجل، إنه أزاح الغشاوة عن الأعين فأبصرت الحق الذي حجبت عنه دهرا، ومسح الران عن القلوب فعرفت اليقين الذي فطرت عليه، وحرمتها الجاهلية منه، إنه وصل البشر بربهم، فربطهم بنسبهم العريق وسببهم الوثيق، وكانوا - قبلا - حيارى محسورين، إنه وازن بين الخلود والفناء، فآثروا الدار الآخرة على الدار الزائلة، وخيرهم بين أصنام حقيرة وإله عظيم فازدروا الأوثان المنحوتة، وتوجهوا للذى فطر السماوات والأرض.

حسب محمد ﷺ أنه قدم الخير هذا الخير الجزيل، وحسب أصحابه أن ساقته العناية لهم، فإذا أوذوا فليحتسبوا، وإذا حاربهم

عبيد الرجس من الأوثان فليلزموا ما عرفوا، والحرب قائمة بين الكفر والإيمان سينجلي غبارها يوما ما ثم تنكشف عن شهداء وهلكى، وعن مؤمنين قائمين بأمر الله ومشركين مدحورين بإذن الله[1].

{وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾} [هود: ١٢١، ١٢٢].

فما هو الإيذاء والاضطهاد الذي أصابنا؟ ولعل صبرنا لدين الله أم هي كلمات تقال وما أسهل الكلام؟!

* * *

(١) وقفات تربوية مع السيرة النبوية.

obeikandl.com

obeikandl.com

الموقف السادس

(٦)

كيف نداوى الأحزان

obeikandl.com

obeikandl.com

الموقف السادس:
كيف نداوى الأحزان!

تقابل الفقير المحروم متأففا متضجرا، يحمل أكداسا من الغم والشجن، ونسمع إليه يفيض في وصف ما ابتلى به من المحن والنوائب، فتأسى لمصابه، وتنفطر لبلواه، وتقابل ثريا مترفا يتقلب في أعطاف النعيم، فتعتقد أنه ناعم البال، هادئ النفس، ولكنك تنصت إليه فتجده ينوء بأعباء ثقيلة من الهم، فله من وساوسه المتلاحقة غيوم داكنة تخيم على نفسه، فتطرد عنه الصفاء والدعة، وإذ ذاك تعلم أن الحزن ديمقراطى النزعة، يدب إلى الأكواخ المتضائلة، كما يتسلق إلى القصور الشماء دون حذر أو مبالاة.

ولكل إنسان في الحياة رغائب ينشدها، وآمال يكدح في سبيل تحقيقها، فالفقير والغنى معا يحلمان بحياة غير الحياة التي يواجهانها أمام الناس، وكثيرا ما يسرفان في الأمل، ويجهدان في السعي، وقد يكون الأمل عزيزا بعيد المنال، فمهما أحثا السير وراءه، فلن يصلا إليه، وهنا تكون الحسرة اللاذعة، والهم الناصب، والحزن المقيم.

وكأن القدر - والحال كذلك - قد جعل من هموم الأغنياء عزاء للفقراء، فإذا نظر البائس المكدود إلى الغنى المترف، فوجده يقاسمه الكدر والضيق، خفف من حزنه، وجفف من دموعه، وهان عليه ما يكابد؛ وللحزن دواع مختلفة، بل أنها تتناقض في بعض الأحيان فقد يفرح زيد لما يبكى له عمرو؛ ومن هنا اشترك الغنى والفقير في اللوعة رغم اختلاف الآلام والآمال.

وأنت تشاهد المحزونين فتأسى لوجوههم الشاحبة، ورؤوسهم المطرقة، ونفوسهم الكسيرة، وكل إنسان في الحياة قد طاف به وقت كريه أذاقه مرارة اللوعة والأسف، فاكتأب خاطره، ومر الطعام

الهنئ في حلقه، وغامت الدنيا في وجهه، ولو امتد به الحال على ذلك لضاقت به الحياة، ولكن الله لطيف بعباده، يجعل من الضيق سعة، ويعقب الظلام الدامس بالصباح الوضيء.

وللحزن زوايا مختلفة، ولن تعدم فيها زاوية حيوية تدفع إلى العمل المنتج، والسعي الدؤوب، فكم من نفوس صهرها الحزن والألم فذهبت تتلمس النجاة والخلاص، وحشدت مواهبها للنضال والصيال حتى تفتقت عن عبقريات ملهمة، وإذا الألم يكشف عن نبوغ مقنع، وذكاء تكمن جذواته تحت الرماد، واقرأ معي تراجم العباقرة في مختلف الأجيال فستجد من الألم والحرمان والاضطهاد أسبابا قوية، مهدت لهؤلاء النوابغ سبيل التألق والسطوع، ولو خلت حياتهم مما يكدر ويؤلم، ما سطع عليهم الإلهام في بيان يردد، أو اختراع يفيد!!.

ولكن هل استفاد جميع المحزونين من أشجانهم الثائرة؟ فقطفوا الثمرة المشتهاة، وأبرزوا ما استتر إليهم من مكنون المواهب، والكفاءات؟ لو كان الأمر كذلك لأصبحت الأحزان أماني غالية، يحرص على تحقيقها الناس، ولكن السواد الأعظم من المحزونين قد ناؤوا تحت أثقالهم المرهقة، وهم في حاجة ماسة إلى بلسم ناجع يبرئ أدواءهم الناغرة، ولن يكون ذلك إلا بفهم الحياة، واستكناه حقائقها الخافية، والنظرة إليها نظرة واقعية، فقد طبع في أذهان كثير من الناس أن صفاء الدنيا وخلوصها من الشوائب أصل ثابت تستقيم عليه الأمور، وأن ما يطرأ من الكوارث والغير شذوذ يخالف القاعدة الأصلية، فحق عليهم أن يجزعوا لغير ما يتوقعون، ولا أدرى من أين أتى لهم ذلك، وهم يلمسون النوائب تتزاحم في كل زمان ومكان، حتى ليصح أن يكون الكدر طبيعة لازمة للحياة ومتى استقام لأذهاننا هذا الفهم العملي الصحيح، فلنوطن نفوسنا على قبول المكاره والأحداث، فلا تفزع لخطب ملم أو خطر يكرث، ولسنا بذلك ندعو

إلى الاستكانة والخضوع، أمام الكوارث الحازبة، بل نعتبر وجودها أمرا طبيعيا فقط، فعلى الإنسان أن يحتاط جهده لنفسه فيسلك السبيل السوي، ويأخذ الحذر من المكروه، فإذا دهمه الخطب بعد الحيطة، تقبله راضيا قانعا، وعلم أنه سنة لازمة من سنن الحياة ذات الخير والشر، والإعسار والإيسار.

ومكلف الأيام ضد طباعها ::: متطلب في الماء جذوة نار

وقد يكون من المفيد أن نضرب مثلا واضحا، يرسل بعض الأضواء الكاشفة، فنقول: أنت في الحياة معرض للأمراض الجسمية القاتلة، فعليك أولا أنت تعتنى بالقواعد الصحية عناية تامة، وتجتهد في تطبيقها واعيا مستنيرا، كما لا تنس في الوقت نفسه أن المرض الجسمي سنة من سنن الحياة فأنت معرض له مهما توقيت، بل ربما جاءك من باب خاف لا تفطن إليه، ومن الذي يعصم نفسه من الاصطدام بسيارة أو الوقوع في حفرة مهما أخذ الحذر والانتباه، فإذا أفرغ العاقل جهده في التوقي والحيطة، ودهمه المرض بعد ذلك من إحدى طرقه فلا يليق به أن يجزع لأمر طبيعي يتوقعه الجميع، بل عليه أن يكافحه بما يستأصله من أفانين الدواء فإذا قدر الله الشفاء فقد بلغ ما يريد، وإن كانت الآخرة فهذه سنة الحياة، فلا يجوز لك أن تسترسل في الهلع المرعب، فتسقط صريع الأسى في حياة يلاحقها الفناء.

وليس المرض أو الموت كل شيء من مصائب الحياة، فالتاجر الذي يفاجئه السوق بما يبدد أمواله بعد أن أخذ الأهبة؛ وصاحب المصنع الذي تلتهم النار أدواته لأمر خارج عن إرادته، والتلميذ الذي يكبو في مادة درسها واستوعبها ثم خانته الذاكرة، هؤلاء وأمثالهم يلغون عقولهم إذا استسلموا لليأس والقنوط، بل عليهم أن يواصلوا السير من جديد؛ فقد بذلوا أقصى ما يدخرون من اليقظة والكدح ثم

جاءت الريح أخيرا بما لا تشتهى السفن، وحسبهم أن ترتاح ضمائرهم فلا توخزهم بتأنيب مرير.

هذا الفهم البصير قادر على أن ينقذ المحزونين من ظلماتهم الدامسة، فمتى توقع الإنسان الخير والشر معا، فقد استعد لقبولهما، فلا يخرج عن الاعتدال في هم أو سرور، ثم أن مجال الأسوة فسيح للبائسين، فالمهموم لا يقف وحده في ميدان غائم عبوس، بل يجد حشدا زاخرا من زملائه الملتاعين، ولو سألت كل إنسان عن مآسيه، لتعذر عليك أن تجد القانع السعيد، ولئن وجدته وتبطنت داخل نفسه، ثم وازنتها بميزان الناس فستطلع على دفائن مستورة، خفيت عنه لحسن حظه، فبات بنصيب من السعادة والهدوء، بينما غرق الجميع في طوفان رهيب.

أجل، إن ميدان الأسوة فسيح مديد، وما من الناس إلا رزئ في نفسه أو ماله أو ذويه، وقد رويت عن الإسكندر قصة إن فاتها صدق الواقع فلن يفوتها مغزى الأسطورة، وإيحاؤها السحري، فقد ذكروا أن الفاتح المقدوني أوصى والدته أن تدعو الناس بعد وفاته ليوم يجتمعون فيه على الطعام والشراب والسرور، ليكون مأتم الإسكندر بهيجا مرحا على غير عادة الناس، على ألا يوافيها للعزاء أحد أصابته مصيبة، فيكدر الصفو، ويطفئ الأنس، فلما هلك النجل، ونفذت الأم الوصية لم تجد أحد أمام ساحتها، فسألت مندهشة: ما بال الناس تخلفوا عنا مع ما قدمنا؟ فقيل لها: إنك أمرت ألا يوافيك أحد أصابته مصيبة، وكل الناس مصابون،!! فعرفت أن الإسكندر قد أحسن تعزيتها بما أوصى به، لينحسر عن عينها الغطاء!!.

ولن يغفل الملتاع ما أعده الله للصابرين من جزاء، فقد بوأهم أحسن الدرجات في مقعد صدق، بل إنه عز شأنه قد جعل من المحن ابتلاء صادقا يمتحن به المؤمنين المخلصين: { وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ

وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾} [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

وفي الأثر أن أبا بكر ﷺ سأل الرسول ﷺ عن قول الله: {لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ} [النساء: ١٢٣]، وقال: فكل سوء عملناه سنجزى به فكيف الخلاص يا رسول الله؟ فقال النبي ﷺ: «غفر الله لك يا أبا بكر، ألست تحزن؟ ألست تمرض؟ ألست تنصب؟ فهذا ما تجزون به، وإن ذاك بذاك!!» (١).

وقد أثبت التحليل النفسي أن أكثر الأمراض العقلية يرجع إلى هموم متراكمة، تجمعت شيئا فشيئا، ثم اندفعت إلى العقل الباطن تنفث السموم، وتستدعى إلى غيرها مما ينخرط معها في سلك الشقاء، وفي النهاية تتألب على صاحبها المسكين، فتثكله صوابه الراشد، وتخرج به عن نطاق العقلاء، ومن الخير للمحزونين - ومأساتهم تلك - أن ينفسوا عن صدورهم بالبث والإعلان لمن يثقون في مروءتهم وإخلاصهم، حتى تتبخر رواسبهم المدمرة شيئا فشيئا وعلى هؤلاء أن يفسحوا لهم سبيل الإذاعة والتنفيس، وأن يجدوا له بعض الأدوية الناجعة في توجيه سديد، أو معونة صادقة، دون سخرية أو استهزاء، على ألا يكون المريض شكاء متباكيا، فاللجاجة وحدها مرض خبيث يتطلب العلاج، ولكن أين من يرحم المحزون في دنيا تشابكت فيها المطامع، وتدابرت بها العواطف والأهواء:

(١) قضايا إسلامية، د/رجب البيومي.

أساة جسمك شـــتى حـــين :: فمن لروحك بالنطس المداوينا
تطلبـــــــــــــــــــــــهم :

وإذا كنا نعيش في الدنيا بفرحنا وترحنا، فلنتذكر الوقوف الأكبر فمنا الشقي ومنا السعيد!.

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

الموقف السابع

(٧)

قوة الشخصية

obeikandl.com

obeikandl.com

الموقف السابع:
قوة الشخصية

من هو المعلم المثالي؟

لو أن هذا السؤال طرح على عدد من رجال التربية، لأسهبوا في الرد عليه، وفي تعداد الصفات التي يجب أن تتوافر في المعلم أولا، ولأفاضوا في سرد تلك الصفات التي يجب أن ينفرد بها المعلم المثالي.. ومما لاشك فيه أنهم سوف يعطون الصفات الخلقية جانبا من عناياتهم واهتماماتهم، ولسوف يقولون: إننا في حاجة ماسة إلى (كشف هيئة) قبل أن نقبل طلاب دور المعلمين، ومعاهد التربية، إذ يتحتم أن يكون المعلم مهيبا، محترما، قوى الشخصية... ولا نظننا في حاجة إلى الحديث عن مظهر رسول الله ﷺ، عن هيبته واحترام الناس له...

ولقد حفظ التاريخ الكثير عن صورة محمد ﷺ

ونحن نذكر قصة ذلك الرجل الذي رأى سيدنا محمد ﷺ نائمًا تحت شجرة يستظل بها، وفاجأه يأتيه الرجل حاملا سيفه للرسول الكريم الذي استيقظ لحظة أحس به:

- من يستطيع أن ينقذك الآن من يدي يا محمد؟

لم يهتز الرسول، ولم يخف، بل أجاب في مهابة وثقة: **«الله سبحانه وتعالى»**.

اضطرب الرجل وخاف وارتعش، وسقط السيف من يده، فأخذه الرسول وسأل الرجل نفس السؤال: **«وأنت من يستطيع أن ينقذك من يدى»** [1].

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد.

هتف الرجل: عفوك.. وعفا عنه الرسول ﷺ..

إن قوة شخصية الرسول قد أفزعت الرجل وأرعبته حتى أنها أسقطت من يده السيف.. وكان الرسول قد استيقظ لتوه من النوم، ومع ذلك تدارك نفسه، وفرض على الرجل مهابته وشخصيته [1].

وليست هذه هي الحكاية الوحيدة التي رويت عن قوة شخصية الرسول ومهابته، فهناك قصة أقرب إلى الأسطورة في هذا المجال ذاته.. فذات يوم جاء رجل غريب إلى مكة ومعه جمال يريد أن يبيعها، فاشتراها منه أبو الحكم ابن هشام الذي سماه المسلمون " أبا جهل " ومثل عادة الكفار في الجاهلية، أراد أبو جهل ألا يدفع ثمن الجمال التي اشتراها، فذهب التاجر الغريب يبحث عن رجل صاحب شخصية وكلمة مسموعة يوسطه عند أبى جهل ليدفع له حقه. وسأل رجلين عن الطريق في لحظة مر فيها الرسول، فخطر بهما أن يسخرا منه وأن يدفعا به إلى أبى جهل ليؤذيه، فأشار إلى محمد وقال للتاجر:

اذهب إلى محمد.. هذا الذي يسير هناك.. سوف يأخذ لك حقك.. أسرع التاجر الغريب إلى محمد، وحكى له حكايته، فما كان من الرسول الكريم إلا أن أخذ بذراع التاجر ومضى، إلى دار أبى جهل والرجلان يتبعانهما في دهشة، وينتظران أن يضرب أبو جهل سيدنا محمدًا ﷺ، الذي مضى يطرق باب الرجل الكافر القاسي، ويفتح أبو جهل ليقول له الرسول: «أعط لهذا الرجل حقه».

وإذا بأبي جهل يدخل إلى البيت، ويعود، لا حاملا سوطا أو سيخا محميا في النار أو عصا كما توقع الرجلان، بل كان يحمل معه صرة مال.. أعطاها للرجل الذي راح يعد النقود وهو لا يكاد يصدق نفسه..

(١) انظر: محمد المثل الكامل، الرسول مربيًا ومعلما، النبي الخاتم، أيام في حياة محمد.

وسأله الرسول ﷺ :«هل هذا كل حقك».

أجاب الرجل: نعم.. إنه حقي كاملا..

انصرف محمد دون أن ينتظر كلمة شكر أو تقدير.. والرجلان مذهولان واندفعا إلى بيت أبى جهل يسخران منه وما حدث، وإذا به يقول:

فتحت الباب وكنت أنوي بمحمد كل شر، ولكنني رأيت كأن جملا ضخما يطل على من فوق رأس محمد، فاتحا فمه كاشفا عن أنيابه ويريد أن ينقض على إذا أنا وقفت أناقش أو أعارض... وراح هذا الجمل يتابعني ويطاردني ويدفعني دفعا إلى مكان النقود - كأنما يعرف مكانها - حتى حملتها.. ومرة أخرى يدفع بي ناحية الباب إلى أن دفعت للتاجر ماله.. واختفى الجمل..

قال أحد الرجلين: لقد كنا نشاهد ما حدث، ولم يكن مع محمد أو فوق رأسه جمل ولا شيء.

قال الثاني: لقد أرعبتك شخصية محمد وأفزعك إقدامه وثباته في طلب الحق وخيل لك الرعب والفزع شبح الجمل [1].

ماذا يقول علم النفس في تحليل هذه القصة؟

إنها واضحة المدلول والدلالة، لا تحتاج منا إلى تعليق أو تعقيب.. إن شخصية محمد، ومهابته، فرضت نفسها على الكفار قبل المؤمنين.

ولدينا صورة وصفية للرسول رسمتها " أم معبد " لزوجها حين مر بها الرسول ﷺ في هجرته من مكة إلى المدينة. ولجأ إليها باحثا عن طعام، وحلب شاتها العجفاء.. وعندما عاد الزوج سألها عن هذا

(١) انظر سيرة ابن هشام، المجلد الأول.

الرسول فأجابته قائلة:

" رأيت رجلا ظاهر الوضاءة، متبلج (مشرق الوجه) حسن الخلق، لم تعبه ثجلة (ضخامة البطن) ولم تزره صلعة (لم يشنه صغر الرأس) وسيم قسيم، في عينيه دعج، وفي أشفاره وطف (طويل شعر الأجفان) وفي صوته صحل (رخيم الصوت) أحور أكحل. أزج. أقرن. شديد سواد الشعر، في عنقه سطح (ارتفاع وطول) وفي لحيته كثافة، إذا صمت فعليه الوقار، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء، وكأن منطقة خرزات نظم ينحدرن، حلو المنطق، فصل لا نزر ولا هزر (لاعى فيه ولا ثرثرة في كلامه) أجهر الناس أجملهم من بعيد، وأحلاهم وأحسنهم من قريب، ربعة (وسط ما بين الطول والقصر) لا تشوؤه (تبغضه) من طول، ولا تقتحمه عين (تحتقره) من قصر، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظرا، وأحسنهم قدرا، له رفقاء يحفون به، إذا قال، استمعوا لقوله، وإذا أمر تبادروا إلى أمره، محفود (يسرع أصحابه في طاعته) محشود (يحتشد الناس حوله) لا عابث ولا مفند (غير منحرف في الكلام)" [1].

ورسم عمرو بن العاص صورة أخرى للرسول ﷺ.. (ما كان أحد أحب إلى من رسول الله ولا أجل في عيني منه وما كنت أطيق أن أملأ عينى منه إجلالا له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت: لأني لم أكن أملأ عينى منه) [2].

لقد تحققت في الرسول أولى صفات المعلم.. وتحققت في مثالية رائعة.. تلك هي قوة شخصية.. مهابته.. احترام الناس له..

(١) رواه الطبراني في الكبير، مجمع الزوائد.
(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان.

* * *

obeikandl.com

الموقف الثامن

(٨)

شخصية النبي ﷺ وأثرها في صناعة القادة

obeikandl.com

obeikandl.com

الموقف الثامن:
شخصية النبي ﷺ وأثرها في صناعة القادة

كانت دار الأرقم بن أبى الأرقم أعظم مدرسة للتربية والتعليم عرفتها البشرية وكيف لا وأستاذها هو رسول الله ﷺ أستاذ البشرية كلها، وتلاميذها هم الدعاة والهداة، والعلماء الربانيون الذين حرروا البشرية من رق العبودية وأخرجوهم، من الظلمات إلى النور، بعد أن رباهم الله تعالى على عينه تربية غير مسبوقة ولا ملحوقة [1].

في دار الأرقم وفق الله تعالى رسوله إلى تكوين الجماعة الأولى من الصحابة... نقلهم من هباء الجاهلية إلى نور الإيمان، وأصبحوا جميعا من عظماء الرجال ومشاهير العرب وصناع التاريخ البشرى، حيث قامو بأعظم دعوة عرفتها البشرية.

إن خريجي مدرسة الأرقم من عظماء الرجال في العالم، وهم الذين قامت عليهم الدعوة، والجهاد والدولة والحضارة فيما بعد؛ فلم يجد الزمان بواحد مثل أبى بكر الصديق وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب وسعد بن أبى وقاص... إلخ.

لقد استطاع الرسول المربى الأعظم ﷺ أن يربى في تلك المرحلة السرية، وفي دار الأرقم أفذاذ الرجال الذين حملوا راية التوحيد، والجهاد والدعوة فدانت لهم الجزيرة، وقاموا بالفتوحات العظيمة في نصف قرن.

كانت قدرة النبي ﷺ فائقة في اختيار العناصر الولي للدعوة من خلال السنوات الثلاثة الأولى من عمر الدعوة، وتربيتهم وإعدادهم إعدادا خاصا ليؤهلهم لاستلام الدعوة وحمل الرسالة، فالرسالات

(١) دولة الرسول من التكوين إلى التمكين.

obeikandl.com

الكبرى، والأهداف الإنسانية العظمى لا يحملها إلا كل الرجال وكبار القادة، وعمالقة الدعاة كانت دار الأرقم مدرسة من أعظم المدارس وجامعات العالم، التقى فيها الرسول المربى بالصفوة لمختارة من الرعيل الأول (السابقين الأولين)، فكان ذلك اللقاء الدائم تدريبا عمليا لجنود المدرسة على مفهوم الجندية والاستجابة والطاعة والقيادة وآدابها وأصولها، ويشحذ فيه القائد الأعلى جنده وأتباعه بالثقة بالله والإيمان والإصرار ويأخذهم بالتزكية والتهذيب، والتربية والتعليم، كان هذا اللقاء المنظم يشحذ العزائم ويقوى الهمم، ويدفع إلى البذل والتضحية والإيثار.

كانت نقطة البدء في حركة التربية الربانية الأولى لقاء المدعو بالنبي ﷺ، فيحدث للمدعو تحول غريب واهتداء مفاجئ بمجرد اتصاله بالنبي ﷺ، فيخرج المدعو من دائرة الظلام إلى دائرة النور، ويكتسب الإيمان ويطرح الكفر، ويقوى على تحمل الشدائد والمصائب في سبيل دينه الجديد وعقيدته السمحة.

كانت شخصية رسول الله ﷺ المحرك الأول للإسلام، وشخصيته ﷺ تملك قوى الجذب والتأثير على الآخرين، فقد صنعه الله عينه، وجعله أكمل صورة لبشر في تاريخ الأرض والعظمة دائما تحب، وتحاط من الناس بالإعجاب، ويلتف حولها المعجبون يلتصقون بها التصاقا بدافع الإعجاب والحب، ولكن رسول الله ﷺ يضيف إلى عظمته تلك، أنه رسول الله، ملتقى الوحي من الله، ومبلغه إلى الناس، وذلك بعد آخر له أثره في تكييف مشاعر ذلك المؤمن تجاهه فهو لا يحبه لذاته فقط كما يحب العظماء من الناس، ولكن أيضا لتلك النفحة الربانية التي تشمله من عند الله، فهو معه في حضرة الوحي الإلهي المكرم؛ ومن ثم يلتقي في شخص البشر العظيم والرسول العظيم، ثم يصبحان شيئا واحدا في النهاية، غير متميز البداية ولا النهاية.. حب

عميق شامل للرسول البشر أو للبشر الرسول ويرتبط حب الله بحب رسوله ويمتزجان في نفسه، فيصبحان في مشاعره هما نقطة ارتكاز المشاعر كلها، ومحور الحركة الشعورية والسلوكية كلها كذلك.

كان هذا الحب الذي حرك الرعيل الأول من الصحابة هو مفتاح التربية الإسلامية ونقطة ارتكازها ومنطلقها الذي تنطلق منه.

المادة الدراسية في دار الأرقم:

كانت المادة الدراسية التي قام النبي ﷺ بتدريسها في دار الأرقم القرآن الكريم، فهو مصدر التلقي الوحيد، فقد حرص الحبيب المصطفى على توحيد مصدر التلقي وتفرده وأن يكون القرآن الكريم وحده هو المنهج والفكرة المركزية التي يتربى عليها الفرد المسلم، والأسرة المسلمة، والجماعة المسلمة، وكان روح القدس ينزل بالآيات غضة طرية على رسول الله ﷺ فيسمعها الصحابة من فم رسول الله ﷺ مباشرة، فتسكب في قلوبهم وتتسرب في أرواحهم، وتجرى في عروقهم مجرى الدم وكانت قلوبهم وأرواحهم تتفاعل مع القرآن الكريم وتنفعل به، فيتحول الواحد منهم إلى إنسان جديد بقيمه ومشاعره، وأهدافه وسلوكه وتطلعاته [1].

لقد حرص الرسول ﷺ حرصا شديدا على أن يكون القرآن الكريم وحده هو المادة الدراسية، والمنهج الذي تتربى عليه نفوس الصحابة وألا يختلط تعليمهم بشيء من غير القرآن.

في دار الأرقم تعلموا أن القرآن وحده وتوجيهات الحبيب المصطفى هما الدستور الأول للدعوة والحياة والدولة والحضارة كان القرآن الكريم المادة الدراسية الوحيدة التي تلقاه في مدرسة الأرقم على يد المربى الأعظم محمد ﷺ، فهو المصدر الوحيد للتلقي، وعليه

(١) المنهج الحركي للسيرة النبوية.

يكون الجيل الفريد من هذه الأمة العظيمة، فهو كتاب هذه الأمة الحي ورائدها الناصح، وذلك لمدرستها التي تتلقى فيها دروس حياتها.

لقد تلقى الرعيل الأول القرآن الكريم بجدية ورعى وحرص شديد على فهم توجيهه والعمل بها بدقة تامة، فكانوا يلتمسون من آياته ما يوجههم في كل شؤون حياتهم الواقعية والمستقبلية.

فنشأ الرعيل الأول على توجيهات القرآن الكريم، وجاءوا صورة علمية لهذا التوجيهات الربانية، فالقرآن كان هو المدرسة الإلهية، التي تخرج منها الدعاة والقادة الربانيون، ذلك الجيل الذي لم تعرف له البشرية مثيلا من قبل ومن بعد لقد أنزل القرآن الكريم على قلب رسوله، لينشئ أمة ويقيم به دولة، وينظم به مجتمعا وليربى به ضمائر وأخلاقا وعقولا، ويبنى به عقيدة ونصرًا وأخلاقا، ومشاعرا، فخرج الجماعة المسلمة الأولى التي تفوقت على سائر المجتمعات في كل المجالات؛ العقدية والروحية والخلقية، والاجتماعية، والسياسية والحربية.

دار الأرقم: منسوبة إلى الأرقم بن أبى الأرقم ﷺ صاحب رسول الله ﷺ، وكانت مركزا للدعوة الإسلامية سرا في صدر بعثته، وكان المسلمون يجتمعون بها ويصلون بها سرا حتى تكاملوا أربعين شخصا بإسلام عمر بن الخطاب ﷺ فجهروا بالإسلام والصلاة. وفي سنة ١٧١ هـ / ٧٨٧ م بنت الخيرزان جارية المهدى العباسي مسجدا في موضع هذه الدار التي كانت على بعد ٣٦ م من الصفا شرقا خارج المسعى، وكانت موضع اهتمام وعناية خلفاء المسلمين تعميرا وترميما، وفي سنة ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م هدمت لصالح التوسعة في هذه الجهة. وتخليدا لذكراها فإن أول باب في المسعى بجوار الصفا سمى بباب دار الأرقم لقربه من موضع هذه الدار. ولعل موضعها

الآن مما يلى السلالم المتحركة في هذه الجهة [1].

الأسباب في اختيار دار الأرقم:

كان اختيار دار الأرقم لعدة أسباب منها:

١- أن الأرقم لم يكن معروفا بإسلامه، فما كان يخطر ببال أحد أن يتم لقاء محمد وأصحابه بداره.

٢- أن الأرقم بن أبى الأرقم ﷺ من بنى مخزوم وقبيلة بنى مخزوم هي التي تحمل كل التنافس والحرب ضد بنى هاشم. فلو كان الأرقم معروفا بإسلامه فلا يخطر في البال أن يكون اللقاء في داره، لأن هذا يعنى أنه يتم في قلب صفوف العدو.

٣- أن الأرقم بن أبى الأرقم كان فتى في إسلامه فلقد كان في حدود السادسة من عمره، ويوم تفكر قريش في البحث عن مركز التجمع الإسلامي فلن يخطر في بالها أن تبحث في بيوت الفتيان الصغار من أصحاب محمد ﷺ بل يتجه نظرها وبحثها إلى بيوت كبار أصحابه أو بيته هو نفسه عليه الصلاة والسلام.

٤- فقد يخطر على ذهنهم أن يكون مكان التجمع على الأغلب في أحد دور بنى هاشم، أو في بيت أبى بكر الصديق ﷺ أو غيره ومن أجل هذا نجد أن اختيار هذا البيت كان في محله.

فأين الشخصيات القيادية الآن التي تقود الأمة وتوحد صفوفها من جديد، كما فعل الرسول الكريم ﷺ؟!

* * *

(١) تاريخ مكة، تاريخ المدينة.

obeikandl.com

الموقف التاسع

(٩)

بكاء الرسول ﷺ
(لغة الخاشعين)

obeikandl.com

obeikandl.com

الموقف التاسع:
بكاء الرسول ﷺ لغة الخاشعين

١ - **الحديث الأول**: (الرسول ﷺ مع عبد الله بن مسعود)

الرسول ﷺ : وهو على المنبر: «اقرأ عليَّ..».

ابن مسعود: أقرأ عليك، وعلي أنزل؟!

الرسول ﷺ: «أحب أن أسمعه من غيري».

عبد الله بن مسعود يقرأ من سورة النساء حتى أتى هذه الآية: { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ } [النساء: ٤١].

الرسول: «حسبك الآن».

يلتفت ابن مسعود إلى الرسول فإذا عيناه تذرفان (أي تدمعان) متفق عليه

يستفاد من هذا الحديث:

١- أن الخشوع عند سماع القرآن يكون بالبكاء لا بالصياح.

٢- قول الرسول ﷺ للقارئ: «حسبك الآن» ولم يقل : (صدق الله العظيم).

٣- كان رسول الله ﷺ يحب سماع القرآن من غيره.

٣- **الحديث الثاني**: " يدخل الصحابة مع رسول الله ﷺ على ولده إبراهيم وعند مرضعته، فيأخذه ويقبله ويشمه. ثم يدخل الصحابة بعد ذلك فيجدون إبراهيم يجود بنفسه (أي يموت) فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان (تدمعان) ".

عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله! (تبكى)؟

الرسول ﷺ: " إنها رحمة.. إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا

نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون " متفق عليه.

يستفاد من الحديث:

١- جواز البكاء على الميت بدون صراخ ونواح.

٢- جواز الحزن على الميت، مع الرضا بالقدر وتجنب الكلام الذي يدل على السخط.

٣- البكاء رقة في القلوب وخشوع وخضوع لله جل وعلا.

* * *

رؤيا الرسول ﷺ

١- قال رسول الله ﷺ: **«من رآني في المنام فقد رآني حقا، فإن الشيطان لا يتمثل بي»**.

٢- وقال ﷺ: **«من رآني فقد رأى الحق، فإن الشيطان لا يتزيا بي»**.

٣- وقال ﷺ: **«من رآني في المنام، فسيراني في اليقظة، ولا يتمثل بي الشيطان»**.

يستفاد من هذه الأحاديث:

١ - أن رؤيا الرسول ﷺ ممكنة، على الوجه الذي ورد في شمائله ﷺ من طوله، ولونه، وهيئته، ولحيته، وغير ذلك.

٢ - لقد ذكر المناوي في تفسير هذه الأحاديث أن الرؤيا الصحيحة: أن يراه بصورته الثابتة بالنقل الصحيح، فإن رآها بغيرها كطويل أو قصير، أو شديد السمرة. لم يكن يراه.

٣ - وذكر المناوي أن معنى قوله ﷺ: **«فسيراني في اليقظة»** رؤية خاصة بصفة القرب والشفاعة (يوم القيامة).

- لا تكثر المزاح، ولا تقل إلا الصدق.
- ارحم الإنسان والحيوان حتى يرحمك الله.

- احذر البخل، فهو مكروه من الله والناس.
- نم باكرا، واستيقظ باكرا للعبادة والاجتهاد والعمل.
- لا تتأخر عن صلاة الجماعة في المسجد.
- احذر الغضب وما ينتج عنه، وإذا غضبت فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم.
- الزم الصمت، ولا تكثر الكلام فهو مسجل عليك.
- اقرأ القرآن بفهم وتدبر، واسمعه من غيرك.
- لا ترد الطيب، واستعمله دائما، لاسيما عند الصلاة.
- استعمل السواك فهو مفيد جدا، لاسيما عند الصلاة.
- كن شجاعا، وقل الحق ولو على نفسك.
- اقبل النصيحة من كل إنسان، واحذر ردها.
- اعدل بين زوجاتك وأولادك وفي كل أعمالك
- اصبر على أذى الناس وسامحهم، حتى يسامحك الله.
- أحب للناس ما تحب لنفسك.
- أكثر من السلام عند الدخول والخروج واللقاء وفي الأسواق.
- تقيد بلفظ السلام الوارد في السنة، وهو: " السلام عليكم ورحمة الله وبركاته " ولايغنى عنه كلمة (صباح الخير، ومساء الخير)، أو (أهلا أو مرحبا) ويمكن قولها بعد السلام.
- كن نظيفا في مظهرك ولباسك.
- غير شيبك بالأصفر أو الأحمر، واحذر السواد امتثالا لأمر الرسول ﷺ.
- تمسك بسنن الرسول ﷺ حتى تدخل في قوله ﷺ: **«إن من ورائكم أيام الصبر، للمتمسك فيهن بما أنتم عليه أجر خمسين منكم»**، قالوا: يا نبي الله أو منهم؟ قال: **«بل منكم»**.

- اللهم ارزقنا العمل بكتابك، وسنة نبيك، وارزقنا حبه واتباعه وشفاعته ﷺ.

مكارم أخلاق الرسول ﷺ

يامن له الأخلاق ماهوى العلا ::: منها ومايعشق الكبراء
لو لم تقم دنيا لقامت وحدها ::: دنيا يضئ بنوره الآناء
زانتك في الخلق العظيم شمائل ::: يغرى بهن ويولع الكرماء
وإذا سخوت بلغت بالجود المدى ::: وفعلت ما لم تفعل الأنواء
وإذا عفوت فقادرا ومقدرا ::: لا يستهين بعفوك الجهلاء
وإذا رحمت فانت أم أو أب ::: هذان في الدنيا هما الرحماء
وإذا غضبت فإنما هي غضبة ::: في الحق لاضغن ولا بغضاء
وإذا رضيت ففي مرضاته ::: ورضى الكثير تحلم وريـاء
وإذا خطبت فللمنابر هزة ::: تعرو الندى وللقلوب بكاء
وإذا قضيت فلا ارتياب كأنما ::: جاء الخصوم من السماء قضاء
وإذا أخذت العهد أو أعطيته ::: فجميع عهدك ذمة ووفاء
بك يا بن عبد الله قامت سمحة ::: بالحق من ملل الهدى غراء
بنيت على التوحيد وهى حقيقة ::: نادى بها (الحكماء والعقلاء)
الله فوق الخلق فيها وحده ::: والناس تحت لوائها أكفاء
والدين يسر والخلافة بيعة ::: والأمر شورى والحقوق قضاء
أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى ::: فالكل في حق الحياة سواء
ظلموا شريعتك التي نلنا بها ::: ما لم ينل في رومة الفقهاء
صلى عليك الله ماصحب الدجى ::: جاد وحنت بالفلا وجناء

من ديوان الشاعر أحمد شوقي.

إذا كانت هذه بعض أوصافه وأخلاقه وكيفية بكائه لله ثم رحمة بمن حوله، فكيف ببكائنا على القليل والكثير، وما أصعب البكاء لدين الله وكلماته!!.

* * *

obeikandl.com

الموقف العاشر

(١٠)

إلى محمد ﷺ ترد الفضائل جميعها

obeikandl.com

obeikandl.com

الموقف العاشر:
إلى محمد ﷺ ترد الفضائل جميعها

١ - إجمال:

اختص الله نبيه محمد ﷺ بالمحامد الكثيرة، والمآثر الأثيرة، وأظهر على يديه الآيات، وأقام له الألوية والرايات، وفضله على خاصته وأحبابه، وأثنى عليه في غير موضع من كتابه، ونصره بالرعب مسيرة شهر، وأبقى معجزته ما بقى الدهر، وكلأه بعنايته وشمله برعايته، وأيده بالبراعة واللسن، وركب فيه كل خلق حسن، وآتاه جوامع الكلم، وحض على الاقتداء بهديه، و أمر بامتثال أمره ونهيه، وأجرى جواري الخير على يديه، وأوحى إليه وناجاه، وآراه من آياته الكبرى، وكرمه في الدنيا والآخرة، وأسبغ عليه من القبول أحسن المطارف، وأولاه كثيرا من الخصائص، وسواه فعدله، وأدبه فأحسن تأديبه، علمه ما لم يكن يعلم، وأرشده إلى حل كل مشكل ومبهم، وجبله على الصيانة والعفاف، وأقام به ميزان العدل والإنصاف، وأفرده بإيداع سره المصون، وعضده بكتاب كريم في كتاب مكنون، ومنح جانبه العزيز لينا، وذاته الكريمة لطفا، وفتح به أبصارا عميا وآذانا صما، وقلوبا غلفا. ولم يبعث نبيا إلا ذكر له نعته ومسلكه، وأخذ عليه الميثاق بالإيمان به ونصره إن هو أدركه، ولم يعط أحدا من الأنبياء فضيلة إلا أعطاه مثلها وزيادة، نزه لسانه عن النطق بهواه، وفؤاده عن الكذب فيما رآه. وجنبه الزيغ وزكاه. وعصمه من الأغراض، وأناله من نيل الكرامة غاية السول، وقرن طاعته بطاعته في قوله تعالى: {مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا} [النساء: ٨٠]، وسماه في كتابه نورا بقوله تعالى: {قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ} [المائدة: ١٥]،

وشرح له بالرسالة صدرا. ورفع له بذكره معه في الشهادتين ذكرا، وأيده بأظهر البراهين، وأبهر المعجزات، ودرأ العذاب عن أهل مكة لكونه بواديهم، فقال تعالى:{ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ } [الأنفال: ٣٣]، وطهره من الأقذار والأدناس، ودل على عصمته في قوله تعالى:{وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ} [المائدة: ٦٧]، وأحسن مخاطبته في سورة ن، ووعده فيها بأجر غير ممنون، وأثنى عليه الثناء المستطاب العظيم، بقوله تعالى:{ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: ٤].

٢- تفصيل:

إذا تصفحنا سيرة العظماء الذين شاد بذكرهم التاريخ، وجدنا أن محمد عليه الصلاة والسلام أرفعهم ذكرا، وأبقاهم أثرا، فما عهد التاريخ رجلا من عظمائه قد أهاب بأمة كالعرب ذات بأس وصراحة وحمية وإباء، وذات خيال وتصور، يدعوها أن تخلع نفسها مما هي فيه، وأن تضع أعناقها للحق الذي لم تألفه حقا، وأن تعطيها مع ذلك محض ضمائرها، وهم لايرون من أمره ذلك إلا قلة وهوانا واستخفافا، وإن كانوا يعرفونه من قبل محسن الخلق، صفاء الذمة، وطهارة الضمير، ويعرفون أنه لايريد ملكا، ولاينبغي شيئا من عرض الدنيا، بل قالوا: {وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥} [فصلت: ٥].

ثم مع هذا كله لا يداخلهم بالنفاق، ولا يتألفهم على باطلهم، ولاينزل في العقيدة على حكمهم دهاء ومخاتلة، كما يصنع دهاة السياسة وقادة الأمم، وكما صنع نابليون في مصر: إذ تظاهر بحب الإسلام، وكما قال: (لو كنت أحكم شعبا يهوديا لأعدت هيكل سليمان عليه السلام).

أما صاحب الشريعة الإسلامية ﷺ فلم يفعل شيئا من ذلك: قد

عرض عليه الانتصار على المشركين بالمشركين، وهو في قلة وحاجة إلى رجل واحد، يزيد في عدد من معه، فأبى وقال: «لا أنتصر بمشرك» ومع هذا قد اجتمع له ما أراد، وأعطته الأمة العربية عن يد وهى صاغرة للحق، وبذلت له نصرها بعد التخذيل عنه، وتعطفت عليه بقلوبها الجامحة، وهو الراغب عن سنتهم، والمسفه لأحلامهم، والطاعن على شرائعهم.

إن نظرة بإمعان في التاريخ، تدلنا على أن العظماء يظهرون بين أقوامهم مماشاة لتدرجهم ورقيهم: فإن كان رقيبهم في باب الحقائق الفكرية، ظهر من بينهم حكيم يضيء لهم السبيل بثاقب فكره وسديد رأيه: وإن كان رقيبهم في باب الفتح وبسط الملك، ظهر من بينهم فاتح عظيم يقودهم إلى الأقطار المتاخمة والنائية.

وكذلك القول في العلماء والشعراء والخطباء وغيرهم من عظماء الرجال الذين يترجمون عن وجهة أقوامهم، فكل عظيم من هؤلاء هو روح عصره، وظهوره جار على سنة النشوة والارتقاء - بيد أن محمدا ﷺ لم يكن جاريا على هذه السنة، بل جاء والعرب قد نزلوا على هاوية الانحلال الاجتماعي، بما لم يعد له مثيل في تاريخ الأمم: فكانوا في جهل مطبق بأحكام الدين الصحيح، ومبادئ السياسة، والحياة الاجتماعية، ولم يكن لهم فن يذكر، أو صناعة تنتشر، ولم يكونوا يعرفون شيئا من العلاقات الدولية، وكانت كل قبيلة أمة قائمة بنفسها، تتحفز لشن الغارة على جارتها، فلم يكن من المألوف أو المعقول، إن بيئة كهذه البيئة تتمخض عن هذا العظيم الذي اجتمع له ما لم يجتمع لمصلح من قبله: لأنه كون أمة، وأسس دولة، وأقام دينا، أمور ثلاثة لم تجتمع لأحد من قبله ولا من بعده، ولا يعد ظهور بعض الأفراد النابهين، أمثال أكثم بن صيفى دليلا على صلاحية البيئة العربية لإخراج أكبر المصلحين. الحق أن العناية الإلهية

القادرة التي تخلق الحيات في ظلمات البحار، هي التي أبرزت هذا الإنسان العظيم، وأمدته بعنايتها، وجعلته نورا ينسخ الظلمات جميعها، فيضيء أطراف الأرضين.

العظمة ليست وقفا على ما يتم من يد صاحبها من المعجزات أو العجائب، وليست وقفا على ما هو عليه من الفصاحة والقدرة على استنباط النظريات، فكل هذه مظاهر لا تلبث إلا أن تزول: إنما العظمة الحقيقية هي الشخصية القوية الثابتة، وهي التي تأتى بالعجائب، وتأخذ بألباب المحتفين بصاحبها، وتملك مشاعر الذين يجيئون من بعده، فتظل عظمته في سيرته.

الشخصية الكاملة هي التي تلقى في قلوب أهل جيلها احتراما وهيبة لصاحبها ورغبة فيه، وتحملهم على محاكاته، وتحبب إليهم طاعته، ثم تصبغهم بصبغته، وتخلق في نفوسهم أساسا جديدا لتقبل عقيدته وآرائه، ويتصل تأثيرها هذا بقلوب الأجيال القادمة، فتظل عظمته خالدة.

كان محمد ﷺ هو صاحب هذه الشخصية الكاملة، فلم يجئ قبله ولا بعده من يدانيه فيها: فقد بهر معاصريه، فأقروا له بالرفعة والتفوق، وكان كثير منهم من أصحاب البيوت الرفيعة، والأحلام الراجحة، والأموال الوافرة، وكان كثير منهم من ذوى قرباه الذين يعلمون حق العلم حياتيه العامة والخاصة. ولو علموا عليه من عيب لأذاعوه، أو وقفوا على نقص لأشاعوه.

احتمل أصحابه في مدى الثلاث عشرة سنة من بدء البعثة كثيرا من الشدائد، وضروب الأذى والاضطهاد: فكانت كل قبيلة تعذب من دان منها له أنواعا من التعذيب يفزع قلب الحليم من ذكرها، وهم يحملونها بصبر عجيب، حتى نصح المصطفى ﷺ لبعضهم بالهجرة

إلى الحبشة كما سيأتى. ومع هذا كله كان عدد أتباعه آخذا في النماء.

فما سبب تهافتهم عليه، واحتمال كل أذى في سبيله؟ إن هو إلا شخصيته الجذابة، التي ملكت عليهم قلوبهم ومشاعرهم، فانصاعوا له حتى استطاع أن ينشئ منهم جيلا فتيا، ولم يستطع الفلاسفة على اختلاف عصورهم، أن ينشئوا جيلا كالذي أخرجه محمد ﷺ أو يدانيه فكانوا نسلا حسنا في علو النفس وصفاء الطبع، ورقة الجانب وقوة اليقين، وطهارة الخلق، وعظم الأمانة، وإقامة العدل، والخضوع للحق، إلى غير ذلك من أمهات الفضائل.

من أجل ذلك وجب تفصيل طرف مما أتاه الله من الفضائل، في نسبه ونشأته وأعماله: ليتبين للعالم أجمع أن محمدا ﷺ هو الأسوة الحسنة الصالحة لرياضة الأفراد وسياسة الأمم، وأن جميع الخلال الحميدة المثمرة مقتبسة من حالة مأخوذة عنه.

نعم... من أجل ذلك يرد إلى محمد ﷺ الفضائل جميعها، لأنه ما رأى بابًا من أبواب الخير إلا وأرشدنا إليه، وما رأى بابًا من أبواب الشر إلا وحذرنا منه [1].

* * *

(١) انظر: محمد المثل الكامل، الرسول مربيًا ومعلمًا من ماضي الإسلام وحاضره، السيرة النبوية.